المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد الهدى والمرسلين، وعلى آله وصحبه وتابعيه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد:

فإن هذا الكتاب قد خصص لأثر المتنبي في شعر اليمن الحديث، ولعل التركيز على المتنبي لأنه يعد الأنموذج الصالح لتمثيل خصائص الشعر العربي قديمه وحديثه في قدرته على التخيل ومهاراته وابتكاره للمعاني، والتي ترى بأنها مختلقة من العدم واختراعه الصور الفنية التي تهتز لها النفس إعجاباً وقدرته على الإبداع في إبراز المعاني، ويعد المتنبي الشاعر العربي الأقرب إلى التمثيل العام لعبقرية الشعر العربي الذي يقدم لنا إلى جانب شاعريته الفذة مادةً ثمينةً للتفكير والتأمل، ويعرض علينا نظراتٍ صائبةً في الحياةِ، وخواطر عن الإنسان جديرة بالنظر والاعتبار ليحلق في الآفاق ويصبح شاعر الإنسانية. وقد ربط في جانبٍ واسعٍ من أشعاره بين الثورة والتوجه القومي العربي. وأثر المتنبي في نتاج الشعراء لا تفي به آلاف البحوث غير أننا في هذا البحث نتتبع بإيجاز تطلعاته؛ وما يعزز الانتماء القومي وروحه وأصالته العربية، وتعرضه للأعاجم، وشدة عداوته لهم، وكانت حياته تمثيلاً ومعايشة للقيم التي نادى بها، وتطلع على إضفائها على الإنسان العربي، وعلى هذا أحبته العرب لأنه عريقٌ في عروبته شديدٌ في جهاديته، فضلاً عن شاعريته الفذة وتقنيته الفنية العالية.

ولا غرو فالتاريخ يعيد نفسه؛ وما أشبه الليلة بالبارحة فإذا كانت الأمة في عصر المتنبي تمر بمأساة فإنها تمر في عصرها هذا بمئات من المآسي، وهذه من المسلمات التي جعلت الشعراء يتأثرون بالمتنبي، وقد ارتبط شعر اليمن الحديث بالتراث والثورة في أغلبه الأعم وإلى إرث المتنبي وزمنه المتجدد على وجه الدقة والتحديد، ودليلنا في ذلك قصائد الشعراء، فقد تزامنت مع أحداث تاريخية مزدحمة ومنعطفات مهمة، وأدى ذلك إلى استلهام ما كان يروى عن تلك الأحداث، لاسيما أن معظم الشعراء قد عاشوا في خضمها وتجاذبتهم أطرافها، والدليل الآخر

على ذلك أن شعر اليمن يسجل أنموذجاً للشعر الملحمي في الشعر العربي الحديث.

وعلى هذا الأساس انطلقت رحلتي في عالمين اثنين لا ثالث لهما الأول: (المتنبي)، وقد صحبته في هذه الرحلة الفنية والأدبية، وكانت من دون شك جميلة وشائقة وممتعة، فهو شاعر العربية الذي مضى على مقتله أكثر من ألف عام؛ ولا يزال شعرهُ على كل لسان، وحكمه تزين أساليب أرباب الفصاحة والبيان، فكأنه يمشي في الجو وسائر الشعراء يمشون في الأرض، ليس في عصره فحسب، بل إلى يوم الناس هذا، فماذا نقول عن هذا الشاعر الذي أسكت أهل زمانه، وأسكتنا اليوم أيضاً؟، وذاع صيته، وطار في الآفاق ليتبوأ إمارة الشعر العربي في عصوره كلها، ولا عجب أن يكون شاعر العصر الحديث من دون منافسة تذكر.

والآخر: عالم الشعر اليمني الحديث، والذي ارتبط بالثورة والتراث[1]. كما ظلَّ شعر اليمن الحديث "الصوت الوحيد الذي تتردد فيه أنفاس الشعب المغلوب على أمره، بل نستطيع أن نقول إنّه الصوت الوحيد الذي ظلَّ على الرغم من معاناة الشعراء من سجنٍ وتشريدٍ وإعدام يقاوم الطغيان"[2] ويضرب بكل ما يملك الدعوات الطائفية والتجزئة الهدّامة. لقد انبتت اليمن "نجوماً في سماء الشعر وبطولات في دنيا القلم والنضال معاً، ولم تنبت شعراً عادياً، وإنما شعراً تعطره البطولة من أجل الحرية والعروبة"[3]. لقد أنجبت اليمن في عصرها الحديث "صفوة من الشعراء الذين أسهموا

---

(١) التراث لغة: أن يكون الشيء لقومٍ ثم يصير إلى آخرين بنسب أو سبب، ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس ١٠٥/٦.

والتراث اصطلاحاً هو "ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات وتجارب وخبرات وفنون في شعبٍ من الشعوب، وهو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي والإنساني والتاريخي والخلقي يؤثر علاقته بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغنائه)).

المعجم الأدبي، جبور عبد النور، ص٦٣.

(٢) الشعر في إطار العصر الثوري، د. عز الدين إسماعيل، ص ٨١.

(٣) شعراء اليمن المعاصرون (مقال) عبد الله ركيبي كتاب مقالات في النقد الأدبي، مجموعة من الكتاب العرب، ١١٨- ١١٩ .

إسهاماً فعالاً في دفع عجلة التطور الأدبي والانطلاقة الشعرية الصاعدة في الوطن العربي" [1].

وتأسيساً على هذا "سجل الشاعر اليمني في مختلف مراحل النضال أروع صور البطولة والتضحية والفداء التي جعلته يتميز بها في كفاحه ضد الاستعمار البريطاني ونظام الإمامة وصراعه مع التشطير وصموده في مواجهة التحديات المعاصرة، وكان صوت الشاعر اليمني هو الرصاصة الثانية التي اخترقت صدر الأعداء، إذ سجل الشعراء أحداث الثورات بكل دقة، فضلاً عن فاعليتهم وحماسهم الثوري في صنع الثورة والحفاظ على مبادئها وأهدافها القومية والوطنية، وعدم التفريط في الثوابت وتتصدر الوحدة اليمنية الثوابت جميعها[2].

وقد حمَّل شعراء اليمن كلماتهم الشعرية؛ وقصائدهم كافة مضامين تراثية مهمة وفاعلة من تراث المتنبي، وفيها ما يعمق تجربتهم الشعرية، وقدموا أنموذجا فذّاً لإحياء التراث العربي، وتراث المتنبي منه على وجه الخصوص، ولعل قصائدهم في أغلبها لم تبارح شعر المتنبي أبداً، فقد وظفوها لمعالجة حاضرهم العربي واليمني على وجه الخصوص، وشحنوها برؤى جديدة ومضامين عصرية.

وقد كنت أخشى أن أظلم شعراء اليمن، وأنا أتلمّسُ أثر المتنبي في شعرهم، وذلك لأن المتنبي له مكانته المتفردة في عالم الشعر العربي كله،فقد كان يدافع عن العروبة بكل ما فيها من قيمٍ ومثل،وكان"أقوى شعراء العربية نبضات قلب، وأبعدهم منزع فكر، وأعمقهم حكمة وأصدقهم إفصاحا عن خفايا النفس وأعرفهم بجهاديتها. فلا عجب أن يكون بعد ذلك أبعدهم شهرة وأخلدهم أثراً.

وقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج الوصفي في رصد تراث المتنبي تقصيها والتمثيل لها وتحليل بعض منها، وقد اعتمدنا تراث المتنبي وفاعلية مضامينه وتقصيها،فضلاً عن التمثيل بما يحلو لنا من شعر المتنبي وتحليل بعض منه، وقد اقتضى الأمر أن نقسم كتابنا هذا على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة مذيلة

---

(١) شعراء اليمن المعاصرون (مقال) حميد الهدو، ضمن كتاب مقالات في النقد الأدبي، ١٥٢.

(٢) ينظر: المضامين الدينية والتراثية في شعر اليمن الحديث، فضل مكوع، ص٢٥.

بقائمة المصادر والمراجع.

أما التمهيد فقد عرجنا فيه بإيجازٍ تامٍ ما يجب أن يعرفه القارئ عن المتنبي وشاعريته وشهرته، وآراء النقاد فيه مدللين بنماذج يسيرة من حكمه الذائعة.

وقد تناول الفصل الأول توظيف أبيات المتنبي وتحوير معانيها، واعتمدنا في ذلك على نماذج لعدد من شعراء اليمن منهم: السقاف والحامد والزبيري والحضراني والبردوني والمقالح وعبد الرحمن فخري وكرمان ومحمد أحمد منصور وغيرهم.

في حين ركز الفصل الثاني على المعارضات الشعرية وتداخل النصوص، وقد دللنا بنماذج شعرية مهمة كان للشعر الهمداني نصيب الأسد في ذلك، ولا يعني أن الأمر قد انحصر عليه فقد عارض المتنبي شعراء آخرون منهم الزبيري والشامي وعلي محمد لقمان والهمداني وغيرهم.

وخصص الفصل الثالث للغربة،فإذا كان للبعاد والغربة أثرها في شعر المتنبي، فإن ما تجرعه من جراء الغربة وحدها لم يتجرعه أحد من الشعراء، ولا شك في أن هذه الغربة بكل معانيها ودلالاتها قد أثرت في شعراء اليمن وكانت الملاذ الآمن لكثيرٍ منهم في مراحل النضال كافة، وعلى وجه التحديد الذين ذاقوا الأمرين، وقد ظهر ذلك جليّاً في شعر الزبيري و الحضراني والمقالح وغيرهم.

أما الفصل الرابع فقد تكفل بأسلوب القناع، وقد تقمَّص شخصية المتنبي عدد من شعراء اليمن، غير أن تركيزنا الأكبر انصب على البردوني في قصيدته (وردة من دم المتنبي)، لما تضمنته من رؤى وأفكار من حياة المتنبي وأحداثها، ولما اعتمدت عليه من الحوار والتفاعل، فضلاً عن المعاني والمضامين والدلالات ما يجعلها على ذلك القدر من التوظيف الفني، وقد تقمص الشاعر المقالح بعض مواقف المتنبي، وقد كان لهذا التقمص خصوصية مهمة،ولا يعني أن الأمر انحصر على هذين الشاعرين فحسب، فقد ركزنا على بعض النماذج التي تؤكد ما نحن بصدده. وقد ذيلت فصول الكتاب هذا بخاتمة أوجزتُ فيها ما توصلتُ إليه من نتائج أثبتت فيه أن مضامين المتنبي وفاعليتها قد شغلت معظم شعراء اليمن، وعمدوا إلى توظيف أحداث ثورته وجهاديته توظيفاً فنياً عصريًّاً، وقد ارتبط شعراء اليمن بشعره شكلاً ومضموناً، لأنه يعد عاملاً رئيساً ومقوَّماً من مقومات أمتنا العربية والإسلامية، ولأن في شعره ما يعزز

الانتماء العربي وروحه وأصالته، وفيه ما ينطق عن خواطر الناس ومشاعرهم، فضلاً عن أنه يعبر عمَّا يختلج بالشعراء أنفسهم، فحلّقوا في أجوائه من غير عائق، يستحضرون عزَّهم الخالد ومجدَهُم التليد، وركَّزوا على قصائد كثيرة من شعر المتنبي، فاستخدموا بعض أبيات المتنبي مابين تضمين أو استلهام أو تحوير معنى أو معارضة، أو تقمص شخصية الشاعر أو التعبير عن حادثة أو واقعة أو غير ذلك، وعمدوا إلى توظيف تراث المتنبي وشعره توظيفاً عصريَّاً بما يتلاءم وواقعهم المعيش.

وقد ذيَّلت خاتمة الكتاب هي الأخرى بمصادر الكتاب ومراجعه، ولا شك في أنني قد أفدت منها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، مما أثرى البحث طريقة أو فكرة أو منهجاً، وقد كان لأغلبها الحظ الأوفر في أن تنير صفحات البحث، وهي التي أشرنا إليها في هوامشه ومصادره و تتصدرها دواوين الشعراء.

وكان لها الفضل بعد الله سبحانه وتعالى على إخراج هذا الكتاب إلى النور بعد أن كان خلاصة لجهود جهيدة بذلتها بصدق وإخلاص، وقد كانت بذرته الأولى في العام التحضيري لدراسة الماجستير في قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة بغداد سنة ١٩٩٨م بعد أن كلفني الأستاذ الفاضل الدكتور عناد غزوان إسماعيل أستاذ النقد الأدبي رئيس قسم اللغة العربية (رحمه الله وغفر له) بكتابة بحث بعنوان (فاعلية التراث في شعر عبد العزيز المقالح)، وقد كان من محبيه ومشجعيه، وكان يثني عليه كثيراً في محاضراته، وفي الوقت نفسه كان مفتخراً بصداقته له، ومعجباً شديد الإعجاب بشاعريته، والثاني لا يختلف عن سابقه وهو بحثي المعنون ب(أثر المتنبي قي شعر اليمن الحديث) وكنت قد قدمته، في العام التحضيري لدراسة الدكتوراه في قسم اللغة العربية بكلية الآداب - جامعة الكوفة سنة ٢٠٠١م بعد أن كلفني أستاذي الفاضل الدكتور علي كاظم أسد بكتابة موضوع عن الشعر اليمني الحديث، ولا ريب في أن يكون عنوان هذا الكتاب في يومه هذا هو العنوان نفسه للبحث الذي كلفت به، وقدمته لأستاذي الفاضل جزاه الله عني وعن العلم خيراً، والجهد الثالث هو بحثي المعنون بـ (أثر المتنبي في شعر اليمن الحديث) وكنت قد قدمته إلى جامعة عدن، وألقيته في كلية التربية زنجبار في ٢٦/شباط/٢٠٠٧م ضمن البرنامج الثقافي لجامعة عدن للعام

الدراسي، والجهد الرابع هو بحث غير منشور، وهو في الطريق إلى النشر قدمته إلى مجلة التواصل بعنوان (أثر المتنبي في شعر الهمداني)، فضلاً عما أضفته إلى هذه البحوث الأربعة من جهود جهيدة أخرى.

وأنا إذ أقدم هذا الكتاب أتمنى من الله جل في علاه أن أحقق الفائدة المرجوة للقارئ الكريم فإن أصبت فهذه أمنيتي وأن أخفقت فقد بذلت ما بوسعي من جهد لتجنب ذلك، فالمرء يخطئ ويصيب وحسبي أني حاولت، وأرجو أن أكون غير مقصِّر في جهدي هذا، فإن وقع على الحال الذي ارتأيت، وبالمكانة التي أمّلتُ فذلك بتوفيق من الله لي وحسن تأييده، وإن وقع بخلافها فما قصرت في الاجتهاد، وإن حصل فأنا بشرٌ، وهذه أولى صفاته، فمهما كتب وأعاد وألف واستزاد فإنه لو نظر فيه نظرة أخرى لوجده ناقصاً، كما قال القاضي الفاضل: "إني رأيت أنه لا يكتبُ أحد كتاباً في يومه إلاّ قال في غده: لو غيّر هذا لكان أحسن ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل . وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر فالكمال لله وحده جل شأنه".

وبعد فإن من حق الوفاء علي أن أشكر كل من أعانني في إنجاز هذا الجهد وتقديمه لخدمة التراث الشعري وقدم لي النصيحة ووجهني بالتفاتةٍ علميّةٍ كريمة وأخص بالذكر من تحملوا مشاق هذا البحث، ووفروا للباحث أجواء ملائمة وشائقة للكتابة، وغاب عنهم ما غاب من عطف وحنان ودفء ومودة، وأخص بالذكر أمي الحنون وزوجتي الفاضلة وأولادي وإخواني وأخواتي الأعزاء، فقد بخلت عليهم بوقتٍ ثمينٍ ما كان أحوجهم إليه، وقد كان تأخذهم الشفقة بي، وهم يرون انقطاعي إلى أوراقي وكتبي وأخذتني الشفقة بهم وأنا أرى حرمانهم من كثير مما اعتادوه من جلساتهم معي.

والشكر موصول إلى كل العاملين في المكتبات، وعلى وجه الدقة والتحديد: مكتبة كلية التربية زنجبار ومكتبة الدراسات العليا والمكتبة المركزية بجامعة عدن، وقد ساعدتني هذه المكتبات على تخطي كثير من صعاب البحث بتوفيرها لي المصادر والمراجع المهمة.

إلى هؤلاء كلهم أقول جزاهم الله عني وعن العلم خيراً وجعلني ممن يدومون على حبهم ومودتهم وتواصلهم ولا يسعني أن أقول لهم جميعاً ما جزاء الإحسان إلا الإحسان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. فضل مكوع

obeikandl.com